

خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٣ من صفر ١٤٣٦ هـ / ٥ من كانون الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضى اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلّ ولا قلّ ولا ملّ ولا ذلّ ولا اختلّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷺ في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

معاشر الإخوة: الحديث عن الأسلاف يكون لغواً لا معنى له يوم يجري على ألسنة العاطلين اعتذاراً عن تقصيرهم أو افتخاراً بأصولهم، ونحن نكره الحديث عن المسلمين الأوائل إذا صحبته هذه النية أو قارنه هذا التفريط، لكن الحديث يُصبح واجباً يكون لهؤلاء الأسلاف دين مجحود وحق مهدر، ويوم يكون الذين انتفعوا به مُصابين بداء الغمط والنسيان، أو مُصابين بداء الحقد والنكران، يومئذ لا يبقى بُدٌّ من التنويه بالجميل القديم واليد السابقة.

معاشر السادة: لقد كانت أوروبا في ظلام دامس يوم كان العرب يتنقلون بين أقطار الأرض انتقال الشروق من أفق إلى أفق، ويحملون معهم يقظة الأفكار والأفئدة

وشرف السيرة والخلق، فلو لم يَجِنِ العرب برسالتهم هذه ما كان أمام الغرب إلا أحد

مصيرين: إما أن يتلاشى مع الجهالات والضغائن التي خالفت شؤونه ظاهراً وباطناً

وذلك هو الأرجح، وإما أن يتأخر سحبه قروناً عديدة، غير أن المبادئ النفسية والعقلية التي صحبت الحضارة الإسلامية، ورجحت من دار الإسلام على ما جاورها من أقطار عَجَلت، ونستطيع أن نقول خلقت اليقظة الأوربية الأخيرة وأمدتها بأسباب النماء، وسيقول المتعصبون العميان لا، وسنظل نُؤكّد الحقيقة التي لا تُخفى على دارس مُنصف، وقد يُنكر الأوربيون أنهم استفادوا شيئاً من حضارة الإسلام، وقد يزعمون أنهم بنوا مدنيّتهم على موارثهم الدينية والفلسفية، بيد أن هذا العقوق الساتر لا نلقاه إلا بسيرة على تزوير التاريخ والاستغراب لضياح المعروف، وتأكيداً على صحة ما نقول فقد ذكر أبو شبكة في كتابه "روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة" حيث قال: إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا وأوربة، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب، وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب.

إن الأمم -للأسف- لا تريد أن تبقى على أسباب المجد والعظمة أزمنة متواصلة، وسرعان ما تتسلل إليها جراثيم الوهن وتدب في كيانها علل التخلف، لكن العناية العليا لا تدع الشعلة المضيئة تسقط على الأرض ويعم الظلام، إن أمماً أخرى تُهيئها ظروفها للبروز إلى الميدان والعمل مكان الذين انسحبوا، ولا تزال تعمل في جدّ حتى يُصيبها بدورها ما أصاب غيرها، فيعيد التاريخ نفسه، وبهذا السباق بميادين الحياة تصلح الحياة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

يا سادة: لقد خدم المسلمون العالم قرابة ألف سنة، ثم وهنت أذرعهم عن حمل المصباح، وخلعوا الأجنحة التي أعنتهم على التحليق، ولم يبق إلى أن يستقروا على الثرى، والقدر الأعلى لا يجابي أحداً، ولا بد أن يطبق قوانينه العادلة على البشر القاطبة، وإنك لتضحك الضحك الذي هو شر من البكاء عندما تعلم أن المغاربة أشد الناس حفظاً للقرآن، وأن المصريين كانوا أحسن الناس تغنياً به، وأن الأتراك

كانوا أحسن الناس كتابة له، ثم ماذا بعد ذلك، فأين العمل به في تزكية القلب وترقية اللب، وإشاعة البر والتعاون في أكناف الأمة، وإنك لتعجب من قول جبران عندما قال: الناس رجلان: رجل نام في النور، ورجل استيقظ في الظلام. ما أصدق هذا القول على المسلمين الذين أغفوا وأشعة الوحي الصادق تغمره ما حولهم، وما أصدق كذلك على أولئك الذين استيقظوا في الظلام وساروا بقوة وهم محرومون من شعاع يهديهم الطريق ويصلهم بالسماء عن يقين.

يا سادة: إن المبادئ التي صدرناها للناس يُعاد إليها تصديرها اليوم، على أنها كُشف إنساني ما عشناه يوماً وما عشناه به دهرًا، ولا غرو لقد كان ظهور هذه المبادئ مُند اندلاع الثورة الفرنسية شيئاً جديداً في حياة العرب، والكعكة بيد اليتيم عجب، ولكننا نَحْشى أن يَجِيء يوم يُصدر الغرب فيه إلينا يوماً غَسَل الوجوه واليدين والأقدام على أنه نظافة إنسانية للأبدان، ففي العاشر من -ديسمبر- كانون الأول من عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين، أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأذاعته، وبعد هذا الحدث التاريخي دعت الجمعية العامة الدول الأعضاء إلى ترويج نص الإعلان وإلى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته، خصوصاً في المدارس والمعاهد التعليمية بدُون أي تمييز بشأن الوضع السياسي للدول أو الأقاليم، لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراءها قد أفضيا إلى أعمال هَمجية آذت -نعم آذت- الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة، ويتحرر من الفرع والفاقة، فقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بنوداً عديدة منها:

يُولد جميع الناس أحراراً في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يُعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

ثانياً: لا يجوز استرقاق أو استبعاد أي شخص، لا يجوز، ويُحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة اوضاعهما.

ثالثاً: مُحاربة التمييز العنصري.

نريد لكي لا نطيل في خطبتنا وكلامنا هذا أن نقف عند هذا البند، مُحاربة التمييز العنصري، لقد واجه الإسلامى عند ظهوره بيئة محلية تضطرب فيها موازين المساواة، ويجار على الحقوق العامة بدون سبب مشروع، فقد يضام المرء لسواد لونه أو لقلّة ماله أو لضعف أسرته، أو لما شابهه من صفات وإشارات، فلما شرع الإسلام يَهدي الحيارى ويقود الناس إلى الصراط المستقيم لم تأخذه هواده في محق مآثر الجاهلية ورد الاعتبار المفقود إلى جماهير الخلق على اختلاف الألوان والأوضاع.

لقد كان العرب في جاهليتهم يزدرون السود ويؤخرون منزلتهم، حتى أن الشاعر الفارس عنتر بن شداد أهدرت مكانته الاجتماعية وأقصاه أبوه على لا لشيء إلا لونه الأسود، مع أن الرجل من الشجعان المقاديم والشعراء المعدودين، فلما ظهر الإسلام كان المؤذن الأول لرسول الله ﷺ باللاً، العبد الأسود، وتجادل مرة الصحابي المعروف أبو ذر الغفاري مع أحد الزوج، واشتد به الغضب فقال له: يا ابن السوداء، وسمع النبي ﷺ هذه الكلمة النابية، فانكرها أشد الإنكار، وقال لأبي ذر: أعيرته بأمه، أعيرته بأمه، (إنك امرؤ فيك جاهلية) ندم أبو ذر على فعلته، وأثرت كلمات الرسول ﷺ في نفسه، فألصقه خده بالأرض، وقال للأسود: قُمْ فَطَأْ عَلَى خَدِّي.

بهذا التعليم المبين الحاسم محى الإسلام من المجتمع النزعات التي تدعي الى التفرقة والعنصرية، والحق أن الإنسان أو لون الجلد الإنساني لا يُسوغ أن يكون مثارة تقديم أو تأخير، فالمدار على الخلق والسلوك في تحديد القيم، لقد كان الصحابي الجليل عبادة بن الصامت أسود اللون، وكان رئيس الوفد الذي أرسله عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس عظيم القبط، فضاق به المقوقس لسواده وقصر جسمه، وطلب

من الوفد أن يتكلم غيره، فردوا عليه: إن هذا أفضلنا رأياً وعلماً، وهو خيرنا وسيدنا، وقد أمره الأمير علينا فلا نُخالف أمره، فعجب المقوقس كيف يكون الأسود أفضلهم؟ فردوا عليه بأن الألوان ليست ما يُقاس به الرجال، وأن الإسلام لا يعرف في تقويم البشر إلا الخلق والمواهب الفاضلة.

أوباما: أنت تدّعي الحرية، وتُجند وتُسلح المعارضة المعتدلة كما سميتها، إنما هم في نظرنا كسوريين شرفاء وكعرب شرفاء ندافع عن قضيتنا وعن القضية الفلسطينية، هذا الكلام نضعه تحت أقدامنا قولاً واحداً، أنت ادعيت الحرية والديموقراطية مَفقودة في سورية في هذا الوطن الحبيب، الغالي علينا جميعاً، الغالي على كل سوري يعرف قيمة بلده وقيمة عرضه وشرفه، فلماذا نرى في بلدك التي أنت تدعي أنها بلد الحرية والديموقراطية، لماذا نرى السود في كل يوم يُقتلون هنا وهناك في ولاياتكم؟ عندما قُتل الشرطي الرجل الأسود بَرَّتْموه من المحكمة، وبعده قتل أيضاً شرطي آخر طفلاً لم يتجاوز عمره أحد عشر سنة وَبَرَّتْموه أيضاً، فما هي ولاياتكم تَتَفَضُّ غضباً على التمييز العنصري في بلادكم، فهل يحق لمنظمة حقوق الإنسان اليوم التي قامت على خدمة بني صهيون فقط وعلى دوس العرب في كل زمان ومكان أن تُصدر إلينا حقوق الإنسان من جديد، وأن تدّعي بأن الشرق الأوسط وأن الأمة العربية والإسلامية هي أمة مُتخلفة، من هنا نقول للعالم بأسره: هذه الآية القرآنية: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ انظر أيها المسلم، انظر أيها العربي، انظر يا من يقطع الرؤوس ويُقطع الأجساد ويحرق الأجساد، الله يقول: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ فأين تكريمك للإنسانية وبني الإنسان، منذ ألف وأربعمئة سنة قال القرآن ذلك، فأين كانت منظمة حقوق الإنسان، إذا كانت منظمة حقوق الإنسان صادقة فيما تقول لماذا لم نر إقامة حكم الإعدام لنتباهو الذي أحرق غزة وأحرق فلسطين وقضية العرب بأسرها؟ لماذا لا نرى جورج بوش يُحال إلى المحكمة الدولية لأنه قام بحرق بلد عريق وهو البلد العراقي الأصيل؟ لم نر منظمة حقوق الإنسان تُحيل بوش إلى المحكمة

الدولية عندما قال بكل وقاحة: لقد كانت الحرب الخطأ في المكان الخطأ. ولماذا لا نرى منظمة حقوق الإنسان تُحيل ساركوزي الذي أحرق ليبيا وأباد أهلها وهتك الأعراض والقيم تحت مُسميات الحرية والديموقراطية؟ أين أنتم من أفغانستان الذي دمرتموه تحت حجة أنه كان من وراء انهيار البرجين في أمريكا؟ إذا كنتم يا أوباما من أجل انهيار بُرجين -والصهاينة وأنتم تعلمون ذلك، واليهود الصهاينة هم من هدم البرجين- هدمتم الوطن العربي بأسره تحت حُجة مكافحة ومقاومة الإرهاب، كم قتلتم من أطفال، وكم دمرتم من بلدان، وكم أبدتم من حضارة وتاريخ وعراق، فهل يحق لكم أيها الغرب الكذبة أن تُصدروا إلينا حقوق الإنسان وأن تتبجحوا بها، إذا أردتم أن تتكلموا عن حقوق الإنسان ينبغي عليكم أن تأتوا إلى دمشق، إلى هنا، نعم أقول إلى دمشق حصراً، لماذا؟ ربما يسأل أحدهم، أو أحدكم: لماذا؟ لأن دمشق لم تعتدي على أي بلد عربي أو أجنبي طيلة تاريخها الطويل والعريق، ودمشق هي التي حاربت وكافحت الإرهاب منذ أن نشأ في بلدان العالم، وما زالت تحاربه اليوم، ومع ذلك حاولتم أن تكذبوا وتضحكوا على العقول بأن الحكومة هي التي تقتل وأن النظام هو الذي يَسفك، في الوقت الذي يعترف فيه داعمو وممولو الإرهاب في سورية أنهم يدعمون ويؤيدون المعارضة المرتزقة، ويؤيدون كل إنسان يسعى فساداً في هذه الأرض، فَمَن أراد أن يتعلم الحرية والحقوق فيها هو قرأنا العظيم، وها هي أخلاق نبينا عليه الصلاة والسلام بيننا، وها هي أخلاق عربتنا بيننا، فلا يحق لكم أيها الغرب أن تتكلموا عن حقوق الإنسان، ومن أراد أن يتكلم عن حقوق الإنسان فليطبق أولاً الحقوق على نفسه، ابتداءً من إزالة مُفاعل ديمونة في فلسطين الذي تمتلكه إسرائيل، والعمل على إزالة أسلحة الدمار الشامل في العالم، ومُحاسبة نتيهاهوا لقتله للأطفال، ومُحاسبة ساركوزي، ومُحاسبة مُمولي وداعمي الإرهاب من الخلجان العربان في سورية، عندما نجد أن محكمتمكم تستدعي هؤلاء لكي تقف بهم

على رؤوس الأشهاد، وتُحاكمهم أمام العالم بأسره عندها يُمكن أن نُصدقكم أنكم تسيرون في الطريق الصحيح.

معاشر الإخوة: ينبغي علينا أن نفهم وأن نُدرك أن كل ما يدعيه الغرب تجاه مصالحنا، تجاه بلداننا، تجاه أحوالنا وظروفنا التي نعيشها هي كاذبة واهمة، ومن أراد أن يتفقه حقيقة ما يجري في الغرب فليتابع أفعالهم الخبيثة وخططهم الماكرة، عندئذ يدرك أن الغرب قد استخف بالعقول الخفيفة لكي يدمر الوطن بيديك، ويقتل أهلك بيديك، ويسعى إلى ما كان يحلم به بيديك، فهل من مُتذكر ومُتعض، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحمداً وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً طبقاً غدقاً مُجلاً إلى يوم الدين، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيا لنا من أمرنا رشداً، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن

والسرور والسعادة والطمأنينة والاستقرار الى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر جيشنا العقائدي الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تكون لهم مُعيناً وناصرأً، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم عليك باليهود ومن والاهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم

وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى تحبه

وترضاه، واجعله بشارة خير للأمة العربية والإسلامية، سُبْحان ربك رب العزة عما
يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

